تأملات ومواقف إنسانية وتربوية من ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الرحمن الغنطوسي
الجامعة العراقية ـ كلية التربية

الأستاذ المساعد الدكتور
سلام عبود حسن
الجامعة العراقية ـ كلية التربية للبنات

المقدمة:

هذا بحث جمعت أصوله من مصادر الشريعة والأدب يتعلق ببيان من أراد أن يتبع نهج الإمام الحسين عليه السلام المنبثقة من هدي التنزيل العزيز، وهدي الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وبيان فضله على أوليائه وفضائلهم، والكشف عن صفات الإمام وسجاياه وأثرها على أتباعه، وقد قمت بهذا العمل رغبة في تبصير الناس بحقائق هذه الخصال ودلالتها فإن الأمم العظيمة والشعوب العريقة.. تعرف بعقيدتها ورجالها.. وتحيا بذاكرتها. والذاكرة.. هي الروح التي تسري في جسد الأمة فيطول بقاؤها.. وهي الدماء التي تتدفق في عروقها فتشتد عافيتها. وبالمذاكرة. للأولياء. تتذكر الشعوب أحداث ماضيها.. وتتفهمها وتتدبر معانيها.. وتستخلص العبر منها.. والدروس التي فيها. وبالذاكرة.. تتذكر الأمم عناصر قوتها وأسباب رفعتها فيما مضي من تاريخها فتبني حاضرها ومستقبلها علي نهجها. والحمد لله الذي جعل صحيفة الإمام الحسين عليه السلام مكان ومرآة لمشاهدة الآثار الملكوتية لأنه تربى على أكمل نوع البرية وأفضل النفوس القدسية أبي القاسم محمد قاسم موائد المواهب الربانية، ومنبع رحيق الفيوض السبحانية وآله الوارثين لمقامات العلية المكرمين بكراماته الخفية والجلية. فالشكر لله سبحان الذي أنعم على الإمام الحسين عليه السلام بهذا الموروث من بيت النبوة وهذا البحث نبين فيه كذلك القيم الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها الحشد المؤمن من أتباعه وأحبائه وسلطنا الضوء على الآثار والآداب التي تساعد لحل المشاكل التربوية والسلوكية لدى الفرد والمجتمع والمستوحاة من نهج وخصال الإمام الحسين عليه السلام، وهو موجز وذلك لذكر الأمور الكلية التي نحتاج إلى إيرادها في مجتمعنا المعاصر لتغني عن التكرار الذي لا طائل تحته. فلا يسعنا في هذا البحث المبارك إلا لإعطاء صورة واضحة جلية عن المراحل

الطبيعية التي تتحدث عن الآثار الخلقية والخلقية العلمية والتربوية من المعهود الفكري وبيان المناقب الهاشمية للإمام المقدام صاحب النسب الرفيع الحسين عليه السلام وهو الذي اجتمعت فيه من الخصال الحميدة ما تفرقت في غيره من الأقران والآل والأصحاب من حيث السيرة والشخصية والنسب والعلم والمنزلة والشجاعة والجود والكرم والفصاحة والبلاغة والمكانة الرفيعة التي كان يمتاز بها.. ولا بد من الوقوف على روافد علومه الشرعية والتربوية المستمدة من ملامح بيئته التي عاش فيها وهي مكان مهبط الوحي عليه السلام. وسيؤول البحث في شكله الأخير إن شاء الله إلى تمهيد وثلاثة مباحث سنبين في التمهيد حياته وآثاره ومناقبه. أما المبحث الأول: نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام ووقع المبحث الثاني ليكشف عن الأهداف والقيم الإنسانية والفكرية لأتباع الإمام الحسين عليه السلام من خلال آثاره وسيرته في ثورة الحق والتي نستنبطها من سفره الكبير، ومن الآيات القرآنية والذكر الحكيم والهدي النبوي لنخرج اللطائف والإشارات والدلالات من ثناياه الحميدة وجاء المبحث الثالث: نماذج من سجايا الحسين عليه السلام. وكل ذلك من خلال بيان آثاره في آداب العبادة والمعاملة وآداب العلم والتعلم والله يعين على ذلك وهو ولي التوفيق أما المنهج الذي التزمنا فيه لهذا البحث هو تخريج الأحاديث والرجوع إلى كتب الأصول والتفسير وكتب السيرة والتاريخ والأدب والقراءات، والعودة إلى كتب المعاجم اللغوية عند تعريف كلمة أو بيان معنى لفظة، وفي الخاتمة سنذكر أهم النتائج والوصايا التي توصلنا إليها. والحمد لله في البدء والختام.

التمهيد:

حياته وآثاره ومناقبه

أعني بهذا التمهيد الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الوقت، ويشتمل:

نسبه وكنيته:

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب وقد تكرر هذا النسب في عدة مواضع من كتب السيرة والتراجم واسم أبي طالب عبد مناف واسم عبد المطلب شيبة واسم هاشم عمرو وأم علي ابن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وكانت أول هاشمية تزوجها

هاشمي وهي أم سائر ولد أبي طالب وأم الحسين بن علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكانت خديجة تكنى أم هند وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ذكر ذلك قعنب بن محرز قال حدثنا أبو نعيم عن حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه وكان علي بن أبي طالب سمى الحسن حربا فسماه رسول الله الحسن ثم ولد له الحسين فسماه حربا فسماه رسول الله الحسين[١] حدثني بذلك أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال حدثنا يحيى بن عيسى قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي بن أبي طالب كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله الحسن فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله الحسين ثم قال سميتهما باسمي ابني هارون شبر وشبير[٢] ولأمه فاطمة الزهراء البتول عليها وعلى أبيها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل الكبير على نساء العالمين وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها محمد إقبال في قصيدته العصماء في السيدة فاطمة رضي الله عنها: ولقد أجاد وأفاد:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرف في ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من هي زوج من هي أم من ... من ذا يداني في الفخار أباها
هي ومضة من نور عين المصطفي ... هادي الشعوب إذا تروم هداها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضى الزوج الكريم رضاها[٣]

ويكنى الحسين أبا عبد الله السبط ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وهو سيد شباب أهل الجنة لقوله صلى الله عليه وآله: ((الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) [٤].

ولادته ونشأته:

ولد الحسين عليه السلام بالمدينة المنورة طيبة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، بعد أخيه الحسن عليه السلام في ليال خلون من شهر شعبان المبارك، وقد اختلف أهل التأريخ والسيرة والتراجم في تحديد العام الذي ولد فيه عليه السلام فقيل: ولد سنة ثلاث للهجرة، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقد كانت ولادته بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر[٥]. وكانت إقامة الحسين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم إلى أن

خرج مع أبيه إلى الكوفة عليه السلام[٦] أن سيدنا الحسين عليه السلام كان زاهداً في الدنيا إلا أنه تزوج عدة مرات، لأن الزواج سنة نبوية، وقد كرهت الشريعة التبتل أو الانصراف عن الزواج، لأن الزواج حفظ للفرج وغض للبصر، وفيه إكمال نصف الدين، فكان أبوه الإمام علي عليه السلام من أزهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان له أربع نسوة وتسع عشرة سرية[٧]. وقد تبين لي عند فحص النصوص الواردة في آثاره أن الحسين عليه السلام تزوج ثلاث مرات وتسرى ببعض السراري، وهن كالآتي:

أولاً: الرباب بنت امرئ القيس الكلبية[٨]، وهي أم ابنته سكينة، وحملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً، وقيل: إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه.

ثانياً: مرة بنت عروة بن مسعود الثقفي، وقيل: ليلى ابنة أبي مرة بن عروة الثقفي[٩].

ثالثاً: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله[١٠].

رابعاً: أم ولد واسمها سلافة بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى آنو شروان بن قباذ[١١]. وهي من السبايا التي غنمها المسلمون في القادسية فهي إحدى بنات كسرى.

خامساً: قضاعة[١٢]. وأما أولاد الحسين عليه السلام فكانوا ستة وهم كالآتي الذكور: أولاً: عبد الله عليه السلام أمه الرباب بنت امرؤ القيس الكلبية ولم يعقب، قتل مع أبيه في وقعة كربلاء[١٣]. ثانياً: علي الأكبر عليه السلام أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة الثقفي قتل مع أبيه ولم يعقب[١٤]. ثالثاً: جعفر عليه السلام أمه قضاعة مات في حياة أبيه ولم يعقب[١٥]. رابعاً: علي الأصغر، وهو زين العابدين وأمه أم ولد سلافة الفارسية معروفة النسب كانت من خيرات النساء، زوجها ابنها علي بن الحسين عليه السلام بعد استشهاد الحسين عليه السلام من زبيد مولاه، ولزين العابدين ذرية كثيرة فليس للحسين عليه السلام عقب إلا منه[١٦]. أما بنات سيدنا الحسين عليه السلام فكن ثنتين فقط:

الأولى: سكينة، وأمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبي[١٧]. وسنة سبع عشرة ومائة فيها توفيت السيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، وقيل اسمها أمينة وقيل أميمة وهو الراجح، وسكينة لقب لها.
الثانية: فاطمة، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله[١٨].

لقد كانت صفات سيد العابدين وإمام الموحدين وقبلة أهل الحق على اليقين في زمانه، مولانا وإمامنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. نبراس للمحبين.

سلام من الرحمن نحو جنابهم فإن سلامي لا يليق ببابهم

وقد وجب علينا أن نلتمس ونكتب ونختار لطائف من نسائم صفاته وسجاياه لنكشف ما يلوح من جواهر عباراته وصفاته وما يفوح من زواهر إشاراته مما هو منبع كلام أعلام الحقيقة والعرفان، ومعدن مقالة أهل الطريقة والإيقان، بل هو أقصى غايات أرباب المجاهدة وأعلى نهايات أصحاب المشاهدة ومما يضارع هذه اللطائف أنه يمتلك تجليات العبودية لله جل وعلا وقد وقع الاختيار على بعض الصور من خصاله في الآداب والعبادات لتكون نبراسا لكل المحبين ومن هذه المختارات ما قد وقع و جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنيفة رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين بن علي ابن أبي طالب أما بعد فإن لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إليَّ فترضيني وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه[١٩].

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠) فالشريعة الإسلامية جمعت بين العدل والعفو، فمن حقك أن تعاقب من ظلمك، وذلك حتى لا تحمل النفس على خلاف ما جبلت عليه من حب الانتقام، وذلك ربما أدى بها إلى النفور من الأوامر الشريعة، فأجاز الله للمرء أن يأخذ حقه ممن اعتدى عليه، وله أن يهجره ثلاث ليال، وهي كافية للقلوب المؤمنة أن تمحو أثر الخطأ والظلم، أو الغضب والانتقام الذي يقع في النفس، ولهذا قال ﷺ: (لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا،

وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) قوله: (وخيرهما) أي: خير المتخاصمين الذي يبدأ صاحبه بالسلام[٢٠]. قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله عزّ وجل من خطوة من إصلاح ذات البين ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار... إجابة الدعوة مستحبة لو بعد الموضع لقوله صلى الله عليه وآله: (لو أهي إلي ذراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت). وكراع موضع بين مكة والمدينة وبينهما أميال وهو كراع الغميم الذي أفطر فيه النبي صلى الله عليه وآله في رمضان. عن الحسين بن علي مرفوعا ((لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من أف لحرمه))[٢١] وذلك لأن التوسل الأول إلى الله ببر الوالدين، وبر الوالدين نعم العمل الصالح: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء:٢٣) فجعل الله تبارك وتعالى أعظم حق بعد حقه تعالى - وهو توحيده - هو حق الوالدين، فكذلك أعظم ذنب بعد الشرك بالله هو عقوق الوالدين، وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: (أيُّ الذنب أعظم؟ قال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: عقوق الوالدين) فهذا أعظم حق يراعى، وإن أهدر فهو أعظم حق أهدر بعد حق الله. ذلك عقوق الوالدين وقد جاء في ذلك أثر أن رجلا كان عاقا لوالدته يقال له علقمة فقيل له عند الموت قل لا إله إلا الله فلم يقدر على ذلك حتى جاءت أمه فرضيت عنه[٢٢] فتوسل إلى الله ببر الوالدين، وتضرع إلى الله: (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك وخالصاً لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه، ففرجت قليلاً) ويقال في بعض الكتب المنزلة سر ميلا عد مريضا وسر ميلين شيع جنازة، سر ثلاثة أميال أجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخا في الله تعالى. ومن المتكبرين من يجب دعوة الاغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين[٢٣]. ومر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون فقالوا هلم الغدا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم وأكل ثم سلم عليهم وركب فقال قد أجبتكم فأجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم رضي الله عنه.[٢٤] وكذلك من الرحمة التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وآله العناية بالأرملة والمسكين وذوي الحاجات قوله عليه السلام: "شرّ الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء" وقال عليه السلام: "من تواضع لله رفعه الله وعن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله إن البخيل

الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي[٢٥] خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد)).

المبحث الأول

ثورة الإمام الحسين عليه السلام نتائج وأهداف

جسدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في نهضتها قيم ومبادئ حقوق الأمة ومنها الإصلاح، حيث أكد فيها على ضرورة الاهتمام بإصلاح شؤون الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية من خلال توعية الأمة بمواصفات الحاكم العادل القائم بالعدل الذي يسوس الناس بالقرآن والسنة ويحترم آرائهم ومعتقداتهم ويؤمن بالشورى في الحكم وتولي الحكم من هو أهلا لها، وعدم المساومة على الحق، والالتزام بالاتفاقيات والعهود، ودعم سيادة القانون، وجعلها مقياسا لقيمة الحاكم ومشروعية حكمه وهذا ما أراده عليه السلام بقوله (ولعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله). وهذا ما حصل بالفعل في حادثة عاشوراء، تلك الحادثة التي أصبحت رسالة لكل المسلمين والمستضعفين والمظلومين في الأرض، حيث قام الإمام الحسين عليه السلام بصنع التاريخ عندما روَّى شجرة الإسلام اليابسة وأحياها بدمه الزَّكي، ليبقى في نفوس المخلصين وفي ذكريات التاريخ أبَدَ الآبدين. وقد تفاعل المؤمنون مع هذه الواقعة الأليمة - التي هزَّت مشاعر الدنيا بأسرها -، وتعاطفوا معها، وحزنوا لِما جرى فيها، ورأوا أن خروج الإمام الحسين عليه السلام كان واجبًا وضروريًّا ضد طاغوت زمانه يزيد بن معاوية، وأن جهاده عليه السلام كان لأسمى المقاصد وأنبل الغايات. ولهذا أقيمت المآتم الحسينية على مِداد الزمان، وتجدَّدت الذكرى المأساوية في كل عام، وعلى مدار الأيام، حزنًا على مُصاب سيد الشهداء عليه السلام وآله وأصحابه النجباء، ومِن أجل أن تُذكَر فيها شتى صور التفاني والتضحيات في طريق الله والامتثال لأوامره سبحانه، ولبيان مفاهيم الإسلام، والعقائد والأخلاق والأحكام ثورة الأمام الحسين عليه السلام هي ثورة إنسانية كبرى بكل أبعادها حدثت في عصر معين لكن إشعاعاتها وقيمها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير يشع على كل أمم

الأرض مادام الظلم والاضطهاد قائمان في هذا العالم. ولابد لنا أن نستحضر قيم تلك الثورة الخالدة في كل لحظة من لحظات هذا الزمن الذي تجبر فيه طواغيت الأرض وازدادوا عتوا كبيرا وتمادوا في غطرستهم وعنجهيتهم وظلمهم لبني البشر. وحين نستحضر قيم تلك الثورة المجيدة وأهدافها لننهل من نبعها الثر، ودفقها المتجدد نزداد ثقة وعزيمة بقدرة كل من سُلب حقه وامتُهنت كرامته وصودرت آماله، ووضع نصب عينيه ثورة الأمام الحسين عليه السلام لانتزاع ذلك الحق المصادر. لأنه لابد أن يقول للظالم قف عند حدك لأن ساعة الخلاص آتية لا محاله. وما دام هذا الدفق يتجدد كالسيل الأزلي ومادام هذا الشعاع المحمدي الخالد يظل يخترق المسافات لينير طريق الحرية والكرامة لكل شعوب الأرض المظلومة، إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد تمخضت وكشفت عن جانبين مهمين هما:

١ـ الجانب العاطفي للثورة:

وهي الثورة الوحيدة في العالم، التي لو تسنّى لكل فرد مهما كان معتقده وفكرته أن يقرأ مسرحيتها بكل أبعادها وتفاصيلها، لما تمكّن من أن يملك دمعته وعبرته. وكما هو المعروف الآن في البلاد غير الإسلامية كالهند وبعض الدول في أفريقيا حيث يقرأ بعض أبنائها ملحمة واقعة الطف في كربلاء، فإنهم لا يملكون إلاّ أن يجهشوا بالبكاء، وقد يؤدي أحياناً إلى ضرب الصدور لا شعورياً؛ لأنها مأساة أليمة تتصدع القلوب لهولها ومصابها[٢٦]. وذلك كما وصفها المؤرخ الانكليزي الشهير (جيبون) بقوله: ((إن مأساة الحسين المروّعة، بالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها، لابدّ أن تثير العطف والحنان في نفس أقل القرّاء إحساساً وأقساهم قلباً))[٢٧] وأكثر من هذا، إنه قد روي: إنّ الذين قاتلوا رجال الثورة لم يملكوا أنفسهم من البكاء، فهذا (عمر بن سعد) قائد الجيش الأموي في كربلاء، يبكي عندما نادته زينب بنت علي عليها السلام قائلة له: ((يا بن سعد! أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فصرف وجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته[٢٨]. وقيل أيضاً: إنّ الأعداء بعد قتل الحسين عليه السلام، هجموا على عياله يسلبونهم وهم يبكون. فجاء رجل إلى فاطمة بنت الحسين وأراد سلبها وهو يبكي، فقالت له: لماذا تسلبني إذن؟ فقال لها: أخاف أن يأخذه غيري[٢٩].

٢ـ الجانب العقائدي للثورة:

ثورة الإمام الحسين عليه السلام بلغت في عقائديتها الذروة العليا في الوعي والعمق، لدى قائدها وأتباعه وأنصاره. فهي لم تختلف وعياً في جميع أدوراها، منذ أن أعلنت حتى آخر نفس من حياة رجالها، على مختلف المستويات الثقافية والإدراكية لرجالها. فهذا الشيخ الكبير يحمل نفس الوعي للثورة الحسينية، الذي يحمله الكهل والفتى، وحتى الذي لم يبلغ الحلم، يحمل نفس الروح لدى رجالها وأبطالها. فلو تصفّحنا الوثائق الأولى لقائد هذه الثورة الحسين عليه السلام، لرأيناها تحمل نفس روح الوثائق التي قالها الحسين عليه السلام في آخر حياته فهي:

أ ـ الثورة على حكم يزيد بن معاوية:

ب ـ إقامة الشريعة الإسلامية وتطبيقها مقام المخالفات التي أشاعها الحاكم آنذاك. فثورة الإمام الحسين عليه السلام هدفت في قيامها هذين الخطين: تغيير الجهاز الحاكم، وتطبيق الشريعة الإسلامية.

أ ـ تغيير الجهاز الحاكم

فالإمام الحسين لم يقصد من ثورته على الحكم تغيير يزيد بالذات؛ لأنه هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، فتكون ثورته ثورة قبلية كما يصورها البعض ويعتقد بأنّ الخصومة بين الهاشميين والأمويين، كانت مستمرة منذ قرون قبل الإسلام وبعده، ولهذا خرج الحسين عليه السلام على يزيد. بل الإمام الحسين عليه السلام علل ثورته على حكم يزيد في بعض خطبه وبياناته. ويتضح ذلك جلياً ممّا جاء في الوثيقة، التي خطبها الحسين عليه السلام أمام أول كتيبة للجيش الأموي: ((أيها الناس! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلا لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله))

حيث علّل عليه السلام خروجه على سلطان يزيد؛ لأنّه سلطان جائر، يحكم الناس بالإثم والعدوان، وذلك مخالف للشريعة الإسلامية، ولسنّة النبي محمّد صلى الله عليه وآله، فلهذا خرج عليه.

صحيح أنّ هناك بعض الوثائق تصرّح باسم يزيد، كما في الوثيقة التي قالها لما طلب

منه والي يزيد على المدينة مبايعة يزيد، فأجابه عليه السلام: ((أيها الأمير! إنّا أهل بيت النبوة... ويزيد رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله))[٣٠].

ب ـ تطبيق الشريعة الإسلامية:

أهم أهداف الحسين عليه السلام، من ثورته على الحكم، حيث عرض نفسه وأهل بيته وأصحابه، للقتل والسلب والنهب، من أجل هذا الهدف المقدس.

فالحسين لم تكن غايته الرئيسية من خروجه، تَسلُّم زمام الحكم فحسب، بل إنما هو يعتبِر الاستيلاء على الحكم وسيلة لتطبيق أحكام الشريعة، لا غاية بذاتها.

ولا أيضاً بدافع العامل الاقتصادي كما يذهب إليه البعض من أنها نتيجة لظروف اقتصادية معينة، دفعت بالحسين إلى ثورته. وليس أيضاً بصحيح ما يقوله البعض: من أنّها نتيجة مرحلة زمنية اقتضتها التطورات التاريخية آنذاك، بل الدافع الرئيسي الوحيد للإمام الحسين عليه السلام، هو تطبيق الشريعة الإسلامية والمحافظة عليها، وإن أدى ذلك إلى سفك دمه. ويسند قولنا هذا، ما جاء في بعض نصوص خطبه ورسائله مثل:

١- ((ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله))[٣١].

٢- ((وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه، فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت))[٣٢].

٣- ((ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه))[٣٣].

٤- ((وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي))[٣٤] فإنّ هذه المقتطفات من خطب ورسائل الإمام الحسين عليه السلام، لهي نصوص صريحة واضحة، لا شبهة ولا غموض فيها؛ لبيان غرضه وهدفه عليه السلام. فإنها جميعاً تدل على أنّ الحكم القائم آنذاك، كان يعمل بكل قواه، على تقويض

الشريعة الإسلامية من جذورها، بإشاعة المنكر والباطل، ومخالفة الكتاب والسنة ((فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت)). والحسين عليه السلام لم يخرج لغير مقاومة المنكر والباطل، وإحياء السنّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يطلب الحكم والمنصب قط؛ لأنّه من أهل بيت النبوة، الذين لم يأتوا للملك إلاّ أن يقوّموا المعوّج، ويدعوا إلى الحق، ويدفعوا الباطل. فهذا جدّه رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله في بداية دعوته، عَرضت عليه رجالات قريش الملك والسيادة والمال، على أن يترك دعوته وقول الحق، فأبى صلى الله عليه وآله، وقال لعمه أبي طالب عليه السلام: ((يا عمّاه! لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته))[٣٥].

وهذا أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام القائل: ((اللّهم إنك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا، منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك))[٣٦] وقد عرضت عليه الخلافة في قضية الشورى بشروط، فأبى عليه السلام؛ لئلا يخالف الشروط التي لا يرتضيها. في حين أن الخلافة الإسلامية في وقتها، كانت الدنيا بأسرها، وخصوصاً بعد أن انهارت دولة الروم والفرس. فعلي عليه السلام أبى أن يقبلها مع أهميتها في مقابل أن لا يخالف شرطاً، فرفض الدنيا بأسرها في رفضه إياها، إزاء عدم مخالفة شرط واحد. وهذا أيضاً سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، بعثه عليه السلام إلى الكوفة لأخذ البيعة من أهلها، وجاء عبيد الله بن زياد ودخل الكوفة، فذهب مسلم إلى دار هاني بن عروة، وكان في داره شريك بن الأعور مريضاً، فأراد ابن زياد عيادة شريك في دار هاني، فاتفق شريك مع مسلم أن يقتل عبيد الله، عندما يأتي لعيادته، والإشارة بينهما رفع شريك عمامته. ثم جاء ابن زياد ودخل على شريك، ومسلم مختبئ في الخزانة، فأخذ شريك يرفع عمامته مراراً، فلم يخرج مسلم، وقال: اسقنيها ولو كان فيها حتفي. فقال ابن زياد: إنه يخلط في علته، ثم خرج من دار هاني. فخرج مسلم، وقال له شريك: ما منعك منه؟ فقال مسلم: تذكرت حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن))[٣٧] فلهذا نرى الإمام الحسين عليه السلام يقول: ((وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي)).

المبحث الأول

نتائج الثورة الحسينية

انبعثت ثورة الإمام الحسين عليه السلام من ضمير الأُمّة الحيّ ومن وحي الرسالة الإسلامية المقدسة ومن البيت الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية للبشرية جمعاء، البيت الذي حمى الرسالة والرسول ودافع عنهما، حتى استقام عمود الدين. وأحدثت هذه الثورة المباركة في التأريخ الإنساني عاصفة تقوض الذل والاستسلام وتدك عروش الظالمين، وأضحت مشعلاً ينير الدرب لكل المخلصين من أجل حياة حرّة كريمة في ظل طاعة الله تعالى. ولا يمكن لأحد أن يغفل عما تركته هذه الثورة من آثار في الأيام والسنوات التي تلتها رغم كل التشويه والتشويش الذي يحاول أن يمنع من سطوع الحقيقة لناشدها. وبالإمكان أن نلحظ بوضوح آثاراً كثيرة لهذه الثورة العظيمة عبر الأجيال وفي حياة الرسالة الإسلامية بالرغم من أنّا لا نحيط علماً بجميعها طبعاً. وأهم تلك الآثار هي:

١ـ فضح الامويين وتحطيم الإطار الديني المزيف:

بفعل ثورة الإمام الحسين عليه السلام تكشفت للناس حقيقة النزعة الأُموية المتسلطة على الحكم، ونسفت تضحيات الثائرين كل الأُطر الدينية المزيّفة التي استطاع الأُمويون من خلالها تحشيد الجيوش للقضاء على الثورة، مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل الذي خلّفته السقيفة. ونلمس هذا الزيف في قول مسلم بن عمرو الباهلي يؤنّب مسلم بن عقيل ربيب بيت النبوة والعبد الصالح لخروجه على يزيد الفاسق، ويفتخر بموقفه قائلاً: أنا من عرف الحق إذ تركته، ونصح الأُمّة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته[٣٨]. وهذا عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ من قادة الجيش الأموي ـ يحفّز الناس لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام حين وجد منهم تردّداً وتباطؤاً عن الأوامر قائلاً: يا أهل الكوفة إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام[٣٩]. فالدين في دعوى الأُمويين طاعة يزيد ومقاتلة الحسين عليه السلام. ولكن حركة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه البيعة وتضحياته الجليلة نبّهت الأُمّة، وأوضحت لها ما طُمس بفعل التضليل. فقد وقف الإمام الحسين عليه السلام يخاطبهم ويوضّح مكانته في الرسالة والمجتمع الاسلامي: أمّا بعد فانسبوني، فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك

حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟! هذا بالإضافة إلى كل الخطب والمحاورات التي جرت في وضع متوتّر حسّاس أوضح للناس مكانة طرفي النزاع. ثم ما آلت إليه نتيجة المعركة من بشاعة في السلوك والفكر فاتضحت خسّة الأُمويين ودناءتهم ودجلهم.

وكان الأثر البالغ في مواصلة الثورة الحسينية بدون سلاح دمويّ حين واصلت العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام فضح الجرائم التي ارتكبها بنو أُميّة ومن ثم توضيح رسالة الإمام الحسين عليه السلام. إنّ جميع المسلمين متفقون - على اختلاف مذاهبهم وآرائهم - بأن الموقف الحسيني كان يمثّل موقفاً إسلامياً شرعياً، وأن يزيد كان مرتدّاً ومتمرداً على الإسلام والشرع الإلهي والموازين الدينية.

٢ـ إحياء الرسالة الإسلامية:

لقد كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هزّة لضمير الأُمّة وعامل بعث لإرادتها المتخاذلة وعامل انتباه مستمر للمنحدر الذي كانت تسير فيه بتوجيه من بني أُميّة ومن سبقهم من الحكّام الذين لم يحرصوا على وصول الإسلام نقيّاً الى من يليهم من الأجيال.

لقد استطاع سبط الرسول صلى الله عليه وآله أن يبيّن الموقف النظري والعملي الشرعي للأُمّة تجاه الانحراف الذي يصيبها حينما يستبدّ بها الطغاة، فهل انتصر الحسين عليه السلام في تحقيق هذا الهدف؟ لعلّنا نجد الجواب فيما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام حينما سأله إبراهيم بن طلحة ابن عبدالله قائلاً: من الغالب؟ قال عليه السلام: ((إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب))[٤٠] لقد كان الحسين عليه السلام هو الغالب إذ تحقق أحد أهم أهدافه السامية بعد محاولات الجاهلية لإماتته وإخراجه من معترك الحياة.

٣ـ الشعور بالإثم وشيوع النقمة على الامويين:

اشتعلت شرارة الشعور بالإثم في نفوس الناس، وكان يزيدها توهجاً واشتعالاً خطابات الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام وزينب بنت عليّ بن أبي طالب وبقية أفراد عائلة النبيّ صلى الله عليه وآله التي ساقها الطغاة الأُمويون كسبايا من كربلاء الى الكوفة فالشام.

فقد وقفت زينب عليها السلام في أهل الكوفة حين احتشدوا يحدّقون في موكب رؤوس الشهداء

والسبايا، ويبكون ندماً على ما فرّطوا وما حصل لآل النبيّ صلى الله عليه وآله فأشارت إليهم أن اسكتوا فسكتوا فقالت:

أما بعد:

يا أهل الكوفة أتبكون؟ فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرّنة، إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا ساء ما تزرون، أي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسل أبداً، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة، ومعدن الرسالة ومدار حجّتكم، ومنار محجّتكم، وهو سيد شباب أهل الجنّة؟)).

وتكلم عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: أيها الناس! ناشدتكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه؟ فتباً لكم لما قدمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم، بأي عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي؟ فلستم من أُمتي[٤١] وروي أيضاً أن يزيد بن معاوية فرح فرحاً شديداً وأكرم عبيد الله بن زياد ولكن ما لبث أن ندم ووقع الخلاف بينه وبين ابن زياد حين علم بحال الناس وسخطهم عليه، ولعنهم وسبّهم[٤٢] ولقد كان الشعور بالإثم يمثّل موقفاً عاطفياً مفعماً بالحرارة والحيوية والرغبة الشديدة بالانتقام من الحكم الأُموي، مما دفع بالكثير في الجماعات الإسلامية إلى العمل للتكفير عن موقفهم المتخاذل عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام بصيغة ثورة مسلحة لمواجهة الحكم الأُموي الظالم. صحيح أنه لا يمكننا أن نعتبر موقف المسلمين هذا موقفاً عقلياً نابعاً من إدراك فساد الحكم الأُموي وبعده عن الرسالة الإسلامية إلاّ أنه كان موقفاً صادقاً يصعب على الحاكمين السيطرة عليه كالسيطرة على الموقف العقلاني، فكان الحكام الظلمة وعبر مسيرة العداء لأهل البيت النبوي عليهم السلام يحسبون له ألف حساب.

٤ـ إحياء إرادة الامّة وروح الجهاد فيها:

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام السبب في إحياء الإرادة لدى الجماهير المسلمة وانبعاث الروح النضالية، وهزّة قوية في ضمير الإنسان المسلم الذي ركن الى الخنوع والتسليم، عاجزاً عن مواجهة ذاته ومواجهة الحاكم الظالم الذي يعبث بالأُمّة كيف يشاء، مؤطّراً تحركه بغطاء ديني يحوكه بالدجل والنفاق، وبأيدي وعاظ السلاطين أحياناً وأُخرى بحذقه ومهارته

في المكر والحيلة[٤٣]. فتعلم الإنسان المسلم من ثورة الحسين عليه السلام أن لا يستسلم ولا يساوم، وأن يصرخ معبّراً عن رأيه ورغبته في حياة أفضل في ظل حكم يتمتع بالشرعية أو على الأقل برضا الجماهير. ونجد انطلاقات عديدة لثورات على الحكم الأموي وإن لم يُكتب لها النجاح؛ إلاّ أنها توالت حتى سقط النظام. ورغم أن أهدافها كانت متفاوتة إلاّ أنها كانت تستلهم من معين ثورة الحسين عليه السلام أو تستعين بالظرف الذي خلقته. فمن ذلك ثورة التوابين[٤٤] التي كانت ردّة فعل مباشرة للثورة الحسينية، وثورة المدينة[٤٥]، وثورة المختار الثقفي[٤٦] الذي تمكن من محاكمة المشاركين في قتل الحسين عليه السلام ومجازاتهم بأفعالهم الشنيعة وجرائمهم الفضيعة، ثم ثورة مطرف بن المغيرة، وثورة ابن الأشعث، وثورة زيد بن عليّ ابن الحسين عليهما السلام[٤٧] وثورة أبي السرايا[٤٨] لقد أحيت الثورة الحسينية روح الجهاد وأجّجتها، وبقي النبض الثائر في الأُمّة حيّاً رغم توالي الفشل اللاحق ببعض تلكم الثورات. إلاّ أن الأُمّة الإسلامية أثبتت حيويّتها وتخلّصت من المسخ الذي كاد أن يطيح بها بأيدي الأُمويين أسلافهم.

المبحث الثاني

أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام

تعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام من بين أشهر الثورات الإصلاحية التي حدثت في تاريخ الإنسانية. فثورته لم تكن لجمع المال والبحث عن الجاه، والتطلع إلى الحكم والتسلط على رقاب الناس، بل كانت لضمان مبدأ حرية الإنسان وكرامته، ومنحه حق الكلمة ليطالب بحقوقه ويعيش حياة كريمة بعيدة كل البعد عن الذل والهوان. لقد تفانى الحسين عليه السلام في الله ومن أجل دينه، فكانت أهدافه - التي تمثّل رضى الله وطاعته - سامية جليلة، كما أنّها كانت واسعة وعديدة. ويمكننا أن نذكر بعض أهداف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته كما يلي:

١ـ الوقوف أمام الحاكم الظالم الجائر المستحلين لحُرَم الله:

فالواجب الديني والاجتماعي حتَّمَ على الامام الحسين عليه السلام القيام بوجه الحكم الأموي الذي استحل حرمات الله و نكث عهوده وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام الحسين عليه السلام باعتباره سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته كان أولى من غيره برد الاعتداء عن الدين والمجتمع.

في مثل هذا الظرف وقف الكثيرون حيارى يتردّدون في قرارهم، فتحرّك الإمام الحسين عليه السلام ليجسّد الموقف الرسالي الرافض للظلم و الفساد، في حركة قوية واضحة مقرونة بالتضحية والفداء، من أجل العقيدة الإسلامية، لتتّخذ الأُمّة الموقف ذاته تجاه الظلم والعدوان[٤٩].

٢ـ الكشف على فساد ا بني امية وانحرافهم:

انتبه المسلمون الى انحراف الفئة الحاكمة الضالّة والى فساد أعمالها، وسعوا من خلال محاولات عديدة الى تطهير الجهاز الحاكم المتوغّل في الظلم والطغيان، حتى غدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً يحتذى به لمقارعة ومقاومة كلّ نظام يستشري فيه الفساد، وقد أفصح بذلك في خطبه ورسائله الإمام عليه السلام عن الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الحاكم بقوله: ((فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله))[٥٠]. وأصبح الأمر أكثر خطورة حين تولّى يزيد ولاية الحكم بطريقة لم يقرّها الإسلام، ولهذا كان لابدّ من فضح التيار الأموي وتصويره على حقيقته، لتتّضح الصورة للعالم الإسلامي فيعي دوره ورسالته ويقوم بواجبه ووظيفته، فتحرّك الحسين عليه السلام بصفته الإمام المعصوم ليواجه زيف الحكم وضلالته. وفعلا أسفر التيار الأموي عن مكنون حقده بارتكابه الجريمة البشعة في كربلاء بقتل خير الناس وأصحابه وأهل بيته من الرجال والنساء والأطفال، ثم أعقب ذلك بقصف الكعبة بالمنجنيق في واقعة الحرة وإباحة المدينة ثلاثة أيام قتلا ونهباً وسلباً واعتداءً على الأموال والنساء والأطفال بشكل بشع لم يسبق له مثيل [٥١].

٣ـ القضاء على البدع وإحياء السنة النبوية:

وعمد الحكم الأموي إلى نشر البِدَع بين المسلمين، التي لم يُقصَدُ منها إلاّ مَحْقُ الإسلام، وإلحاق الهزيمة به، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك في رسالته التي بعثها لأهل البصرة: ((فَإِنَّ السُّنَّةَ قَد أُميتَتْ، وَالبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ)). فقد ثار عليه السلام ليقضي على البِدَع الجاهليّة التي تَبَنَّاهَا الأُمويّون، ويحيي سُنَّةَ جَدِّه صلى الله عليه وآله التي أماتوها، ولِيَنشرَ رايةَ الإسلام[٥٢] انحدرت الأُمّة الإسلامية في منحدر صعب يوم انحرفت الخلافة عن مسارها الشرعي في يوم السقيفة، فإنّها قبلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أن يتولّى أمرها من يحتاج الى المشورة والنصيحة ويخطئ في حقّها ويعتذر، فكانت النتيجة بعد خمسين عاماً من غياب النبي صلى الله عليه وآله أن يتولّى أمرها رجل لا يتورّع عن محارم الله، بل ويظهر الحقد على الإسلام والمسلمين، فتعرّض الإسلام -

عقيدةً وكياناً وأُمّةً - للخطر الحقيقي والتشويه المقيت المغيّر لكلّ شيء، على غرار ما حدث لبعض الرسالات السماوية السابقة. في مثل هذا المنعطف الخطير وقف الإمام الحسين عليه السلام ومعه أهل بيته وأصحابه، وأطلق صرخة قويّة ومدوّية محذّراً الأُمّة، مفتدياً العقيدة والأُمّة بدمه الطاهر الزكي، ومن قبل قال فيه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)). كما قال غير مرّة: ((حسين منّي و أنا من حسين)). فكان الحسين عليه السلام ونهضته التجسيد الحقيقي للإسلام الحقّ، فقد كان الخط الحقيقي للإسلام المحمدي متمثلاً في الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم. وقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام في رسالته التي بعثها الى أهل البصرة بكل وضوح الى أنّ السنّة قد ماتت حين وصل الانحراف إلى حدّ ظهور البدع وإجبائها[٥٣].

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن أهم درس نستفيده من النهضة الحسينية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يتطلب التضحية بالنفس والنفيس، فالإمام الحسين عليه السلام قد ضحى بنفسه وأهله وأصحابه في سبيل إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذه الفريضة الإسلامية العظيمة كانت عاملاً كبيراً ودافعاً عظيماً للإمام الحسين عليه السلام في ثورته وخروجه؛ باعتبار أنها كانت شبه معطلة بالرغم من أهميتها وشدة تأكيد الإسلام وحرصه على إقامتها، فهي العامل الأهم في الثورة الحسينية، وقد أكّد الإمام الحسين عليه السلام على هذه الحقيقة في الكثير من بياناته، فقد صرّح أنه لم يخرج إلا من أجل إقامة هذه الشعيرة العظيمة؛ فقد قال لأخيه محمد بن الحنفية في وصيته: (أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، وقال أيضاً في خطبته: (أما بعد، فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)[٥٤] يقول الشهيد مطهري: (وعلى هذا الأساس فإن قيمة قيام الإمام عليه السلام استناداً إلى هذا العامل تتضاعف كثيراً، ويأخذ الدرس الحسيني من هذا الحساب شكلاً آخر ووضعية مختلفة، والسبب الأساس والعامل الرئيسي الذي يعطي لهذه النهضة جدارتها وأهليتها لتبقى دائماً مشعة ومشرقة على جبهة التاريخ وخالدة أبداً ودرساً أزلياً وثورة لا نظير لها في

العالم هو هذا السبب، إن هذا العامل يرفع كثيراً من أهمية وقيمة النهضة الحسينية)[٥٥].

لقد كان غياب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نتيجة طبيعية لتولّي الزعامة المنحرفة، وقد حدث هذا تحت عناوين متعدّدة منها: لزوم إطاعة الوالي وحرمة نقض بيعة تمّت حتى لو كانت منحرفة، وكذلك حرمة شقّ وحدة الكلمة، وقد وصف الإمام عليه السلام هذه الحالة بقوله: ((ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله))[٥٦] لذا تطلّب الأمر أن يبرز ابن النبي صلى الله عليه وآله للجهاد وهو يحمل السيف في محاولة لإعادة الحقّ الى نصابه من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنّ الإصلاح المقصود هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ جوانب الدين والحياة، وقد تحقّق ذلك من خلال النهضة العظيمة التي قام عليه السلام بها فكانت الهداية و الرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وإنسانياً واُخروياً بمقتله وشهادته، وتلك النهضة التي عليها تربّت أجيال من الاُمّة، وتخرّجت من مدرستها الأبطال والصناديد، ولا زالت وستبقى المشعل الوضّاء ينير درب الحقّ والعدل والحرية وطاعة الله إلى يوم القيامة.

٥ـ تحريك العواطف وإيقاظ الضمائر:

في أحيان كثيرة لا يستطيع أصحاب العقائد ودعاة الرسالات أن يحاوروا العقل والذهن مجرّداً معزولا عن عنصر العاطفة لأجل تعميق المعتقد والفكر لدى الجماهير، وقد ابتليت الاُمّة الإسلامية في عهد الإمام الحسين عليه السلام وبعد تسلّط يزيد بحالة من الجمود والقسوة وعدم التحسّس للأخطار التي تحيط بها وبفقدان الإرادة في مواجهة التحديات ضدّ العقيدة الإسلامية، لهذا لم يكتف الإمام الحسين عليه السلام بتثبيت الموقف الشرعي وتوضيحه عملياً من خلال موقفه الجهادي بل سعى إلى إيقاظ ضمائر الناس وتحريك وجدانهم وأحاسيسهم ليقوموا بالمسؤولية، فسلك سبيل البذل والعطاء والتضحية من أجل العقيدة والدين، واتّخذ اُسلوب الاستشهاد الذي يدخل بعمق وحرارة في قلوب الجماهير، وقد ضرب لنا مثلا رائعاً حينما برّزت ثورته أنّ التضحية لم تكن مقصورة على فئة أو مستوىً معيّن من الاُمّة، فللطفل كما للمرأة والشيخ دور فاعل فضلاً عن الشباب.

لقد كانت واقعة الطفّ تأكيداً حقيقياً على أنّ المصاعب والمتاعب لا تمنع من قول الحقّ والعمل على صيانة الرسالة الإسلامية، كما أنّها زرعت روح التضحية في سبيل الله في

نفوس أبناء الأُمّة الإسلامية، وحرّرت إرادتها ودفعتها إلى التصدّي للظلم والظالمين، ولم تُبقِ عذراً للتهرّب من مسؤولية الجهاد والدفاع عن العقيدة والمقاومة لإعلاء كلمة الله.

من خلال ما تقدم يتبين بأن ثورة الامام الحسين ثورة واقعية ليست مثالية أو خيالية بعيده عن واقع الأمة أو بعيده عن واقعنا السياسي المعاصر، فهي ثورة إصلاحية لواقع أستشرا فيه الفساد "الفساد السياسي والمالي" والظلم والجور وقتل النفس المحترمة والتحكم بإزراق الناس من خلال القبض على السلطة. ليكن هدف الامام الحسين في ثورته من خلال القبض على السلطة، هدفاً استراتيجياً ادارياً إصلاحياً لواقع سياسي مرير، ولم يكن الأغراض شخصية، للتمتع ببذخ السلطة، وإنما كان لأجل تصحيح مسار الحياة السياسية في ذلك الوقت. من هنا فان الإمام الحسين سعى إلى إقامة المشروع الحضاري التنموي الدائم، ذو البعد الإنساني الإصلاحي المقترن بالإدارة الإستراتيجية للامة الاسلامية المتمثل بواقعة الطف الإصلاحية. هذا الفكر الإصلاحي والسياسي للأمام الحسين، والذي دفع حياته وحياة عائلته ثمناً لذلك المشروع الإصلاحي، نحن احوج ما نكون له اليوم في العراق. فالفكر الاستشهادي الذي خلده الامام الحسين تبلور في فكر اتباعه، وترك اثره اليوم بشكل كبير من خلال التضحية بالنفس في مقاتلة الإرهاب لاسيما بعد ظهور تنظيم "داعش" وسيطرته على بعض المحافظات العراقية، وتهديده لكيان الدولة العراقية، وهي تضحيات لابد أن ترفد بفكر الحسين عليه السلام الإصلاحي على المستوى السياسي لكل القوى السياسية في الدولة العراقية.

المبحث الثالث

القيم الإنسانية والفكرية لأتباع الإمام الحسين عليه السلام من خلال آثاره وسيرته

كان عليه السلام مجاهداً في سبيل الله في عدد من المغازي، ولكنه كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله صغيراً، وهو يحب الشهادة لسببين الأول: أن سيدنا الحسين عليه السلام من أهل الجهاد في سبيل الله ووعده الله إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، فهو عندما ذهب يقاتل وضع أمام عينيه الشهادة فنالها عليه السلام وأرضاه.

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وآله، أخبر أن الحسين بن علي رضي الله عنهما سيقتل ويموت شهيداً، فقد نزل جبريل عليه السلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، في بيت أم سلمة رضي الله عنها، فقال لها

رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تدعي أحداً يدخل)، فجاء الحسين عليه السلام، فبكى فجعلته يدخل، فدخل حتى جلس في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال جبريل عليه السلام: (إن أمتك ستقتله، قال: يقتلونه وهم مؤمنون ! قال: نعم، وأراه تربته)، إسناده حسن، قاله الذهبي[٥٧]. وهنا يلتفت الخطاب إلى هذا الحشد العظيم أن التربية الجهادية

وحفظ الأمانة متلازمان وهي من الأخلاق الكريمة والمروءات النبيلة التي تدل على تقوى صاحبها وخوفه من الله وعفته ووفائه • ولذلك وجب الاهتمام بتقوية هذا الخلق في التربية بعامة، وفي الإعداد للجهاد بصفة خاصة؛ وذلك لما يتعرض له المجاهد من مواقف تتطلب منه إبرام عهد وعقد للقيام بمهام معينة في الجهاد، أو يستودع بعض الأسرار التي تتعلق بالجهاد، أو توكل إليه بعض أموال الجهاد قبضًا وإنفاقًا وحفظًا، وغير ذلك من المهمات التي تحتاج إليها ويتطلبها الجهاد في سبيل الله ولأن من هدي القرآن للتي هي أقوم: إرشاد العباد إلى الشروط التي ينبغي أن تتوفر في متولي الأعمال، وهي خمسة: ١- القوة. ٢- القدرة. ٣- الأمانة. ٤- الحفظ. ٥- العلم. وهي من أولويات الحشد المؤمن الذي يقاتل الإرهاب، ونحن اليوم في زمن ضاعت فيه الأمانات، وضعفت في قلوب كثير من الناس حتى عز المتصفون بها لذا وجب التركيز عليها في التربية والإعداد للجهاد، واستخدام الوسائل الشرعية لتقويتها؛ وذلك بتقوية أعمال القلوب، وإنشاء هم الآخرة في النفس والخوف من الحساب، وفي قَوْله تَعَالَى صورة أخرى ينتفع منها الحشد المؤمن قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ يَأْمُرُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِالاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، وَبِإِعْدَادِ آلاتِهَا لِمُقَاتَلَةِ الْكُفَّارِ، وَدَفْعِ الْعُدْوَانِ، وَحِفْظِ الأَنْفُسِ، وَالْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ، حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالاسْتِطَاعَةِ: مِنْ خَيْلٍ وَسِلاحٍ وَعُدَدٍ وَمُؤَنٍ وَتَدْرِيبٍ وَعِلْمٍ وَكُلَّ مَا يَدْخُلُ فِي تَعْرِيفِ الْقُوَّةِ الَّتِي تُمَكِّنُ الأُمَّةَ مِنْ مُقَاوَمَةِ خُصُومِهَا، بِحَسَبِ مَفْهُومِ الْعَصْرِ، وَذَلِكَ لإِرْهَابِ الْكُفَّارِ - مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ غَيْرِهِمْ - أَعْدَاءِ اللهِ، وَأَعْدَاءِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلإِرْهَابِ الأَعْدَاءِ الآخَرِينَ مِنْ مُنَافِقِينَ وَيَهُودٍ يُجَاوِرُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لاَ يَعْلَمُهُمْ رَسُولُ اللهِ وَالْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُمْ. وَيُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ كُلَّ نَفَقَةٍ يُنْفِقُونَهَا فِي الْجِهَادِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، سَتُوَفَّى إِلَيْهِمْ بِالتَّمَامِ وَالْكَمَالِ، وَلاَ

يَبْخَسُ اللهُ أَحَداً مِنْهُمْ شَيْئاً.[٥٨] قد نقع هذه الأيام في أزمة الفهم وخاصة في (الجوانب الأخلاقية)، لم تفهم مسألة حسن الخلق عند كثيرين، ومن عرفها فسرها بنوع منها ومن نقدها اتهم النيات فيها، واعتبر كرائم الأخلاق مصالح ومنافع، لطغيان المنفعة في حياة الناس وأهمل الدفق الغزير من النصوص المرتبة عميق الأجور على معالي الأخلاق وطيبها ومحاسنها، (فالمتواضع) في حس هؤلاء ذليل والكريم مسرف، والصبور منهزم والشجاعة حماس وتهور، والصلة والتودد ضعف وطيبة زائدة وهكذا يفقدون (النظرة المعتدلة) في فهم الصفات الحسنة، والأخلاق النبيلة، بسبب التخليط المعرفي والاعوجاج العقلي والبلادة في الفهم والكلام يطول حول تتبع أحوال الأمة وممارساتها ومآسيها جراء أزمة الفهم، لكن المطلوب الاعتراف بذلك والسعي في إصلاح ذواتنا، وتغيير إجراءاتنا، والتحرر من أسباب الضعف وبواعث التأزم والهوان، وليسعَ الجميع إلى المعالجة والمراجعة لاسيما الرموز والصفوة، بالدعوة إلى أعمال العقل وتوسيع نطاق التفكير، وتكثيف الإطلاع وجمع المعلومات، ونبذ التقليد والتبعية والحرص على الانفتاح والمواكبة، لأن الانغلاق والانعزال طريق للاضمحلال والإفلاس.

ولن تفلح الأمة ما دامت مصرة على متابعة أخطائها وتكرارها، بل لابد من تجاوزها بالتعلم والعمل والإصلاح والصيرورة تحت رايات البصيرة والصواب، ولن يكون هذا في ظل تقديس الذات وإباء التعلم بل لابد من كشف الذات والارتقاء إلى نقدها نقداً موضوعياً، والانطلاق بها إلى منارات العلم والتعلم واكتشاف الخبرات، فحينها يصح لها التقدم والتطور، وتحقق الفهامة الرائدة والمستقبل المجيد، وقد ورثنا من الإمام الحسين ما عمل به العلماء المتقدمون والمتأخرون في الأدب الديني ومحاسن الإسلام وما يدعو إليه من الأخلاق النبيلة والسمات الرفيعة ما يُعرف به أن هذا الدين أشرف الأديان وأكملها وأنه تنزيل من حكيم حميد، فنهيب بالحشد المؤمن الغيور على دينه ووطنه، أن يقرأ ويتدبر صفات وسمات الحسين عليه السلام و ما كتبه علماء الأمة عنه في الآداب الشرعية ومكارم الأخلاق وما تحويه من تفصيل وإيضاح للأدلة النقلية والعقلية، وكيف اكتسبوا بَذلك أفئدة الناس وأقنعوهم باعتناق الإسلام عن محبة وطمأنينة مما سبَّب تَمكُّن الدين من القلوب والإقبال عليه بصدق ورغبة؛ وهذا ما نؤمِّله في أبنائنا في هذا الزمان، واللَّه المستعان وعليه التكلان. عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: "ما من مسلم ولا مسلمة يصاب

بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب"[٥٩]. أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: الأمر بالمعروف؛ لما فيه من المصالح العظيمة، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وأن من هدي القرآن للتي هي أقوم: النهي عن المنكر؛ لما في المنكر من الأضرار والمفاسد والشرور، قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وأخبر عمن لا يتناهون عن المنكر أنهم لُعنوا، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ وذلك إن المؤمن إذا مات بكت عليه السّماء والأرض أربعين صباحاً، وقال عطاء: في هذه الآية بكاءها حمرة أطرافها، وقال السدي: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت عليه السّماء، وبكاؤها حمرتها. أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِإِعْدَادِ الْقُوَّةِ لِلْأَعْدَاءِ بَعْدَ أَنْ أَكَّدَ فِي تَقَدُّمَةِ التَّقْوَى؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لَهَزَمَهُمْ بِالْكَلَامِ، وَالتَّفْلِ فِي الْوُجُوهِ، وَحَفْنَةٍ مِنْ تُرَابٍ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبْلِيَ بَعْضَ النَّاسِ بِبَعْضٍ، بِعِلْمِهِ السَّابِقِ وَقَضَائِهِ النَّافِذِ؛ فَأَمَرَ بِإِعْدَادِ الْقُوَى وَالْآلَةِ فِي فُنُونِ الْحَرْبِ الَّتِي تَكُونُ لَنَا عُدَّةً، وَعَلَيْهِمْ قُوَّةً، وَوَعَدَ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى بِأَمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ الْعُلْيَا، وَالرِّبَاطُ: هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حِرَاسَةً لِلثُّغُورِ أَوْ مُلَازَمَةً لِلْأَعْدَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ شَيْءٍ مِنْهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ. وَقَدْ رُوِيَ عنه: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[٦٠]. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.. ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فهذه هي قاعدته الأصيلة في العمل والجزاء. فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه. فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان. الأول مبتور لم يبلغ تمامه، والثاني مقطوع لا ركيزة له. وبهما معاً تسير الحياة على التي هي أقوم.. وبهما معاً تتحقق الهداية بهذا القرآن. فأما الذين لا يهتدون بهدي القرآن، فهم متروكون لهوى الإنسان. الإنسان العجول الجاهل بما ينفعه وما يضره، المندفع الذي لا يضبط انفعالاته ولو

كان من ورائها الشر له: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾.. ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها. ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه وهو لا يدري. أو يدري ولكنه لا يقدر على كبح جماحه وضبط زمامه.. فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهادئ الهادي؟[٦١] ألا إنهما طريقان مختلفان: شتان شتان. هدى القرآن وهوى الإنسان!

ومن القيم الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها الحشد المؤمن الرحمة والرأفة بالضعفاء قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وقال عما قاله يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، وقوله تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ يروى أنها لما قالت ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ أثارت حفيظته بهذه الكلمة فسألها: كيف علمت ذلك فذكرت له عن القوة في سقيه لهما وعن الأمانة في غض بصره عن النظر إليها، ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة[٦٢]. فصدقها شعيب وقال لموسى، فقال: ما أَعْلَمَكِ بقوته وأمانته؟ فذكرت نزع الدلو، أو رفع الحجر عن البئر، وأمْرها بالمشي خلفه. وفي رواية عند الثعلبي. أما قوته: فإنه عمد إلى صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً، فرفعها عن فم البئر.[٦٣] وكان العالم قديماً في انعزالية. ولم يكن يملك من وسائل الالقتاء ما يجعل الأمم تندمج. وكان لكل بيئة داءاتها، ولكل بيئة طابع مميز في السلوك، ولذلك أرسل الله رسولاً إلى كل بيئة ليعالج هذه الداءات، ولا يذكر الداءات الأخرى حتى لا تنتقل من مجتمع إلى مجتمع آخر بالأسوة. وحين علم الحق بعلمه الأزلي أن خلقه بما أقدرهم هو سبحانه على الفكر والإنتاج والبحث في أسرار الكون سيبتكرون وسائل الالتقاء؛ ليصير العالم وحدة واحدة، وأن الشيء يحدث في الشرق فيعلمه الغرب في اللحظة نفسها،، فكان ﷺ الرسول الخاتم والرسول الجامع والرسول المانع. ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤) ومثال آخر: عندما نروي سيرة من السير، مثل سيرة النبي ﷺ، نجعل النبي ﷺ محور الحديث والتاريخ، ونروي كيف دارت الأحداث في حياة الإمام الحسين عليه السلام نجده صاحب الصفات الحميدة في كل صورها.

إذن فأخبار وقصص الرسل تكون هي المحور ونلتقط الأحداث التي مرت عليهم؛ لأن

الرسالات حين تأتي الناسَ بمنهج السماء؛ تنقسم إلى قسمين: قسم نظري يريد الحق أن يعلمه لخلقه بواسطة الرسول، وهو القسم العلمي، فتلك قضايا يجب أن يعلموها. وقسم عملي؛ لأن الحق يريد من خلقه أن يعلموا ويريد منهم - أيضاً - بعد أن يعلموا أن يطوعوا حركة حياتهم على ضوء ما عملوا. فليست المسألة رفاهية علم، ولكنها مسئولية تطبيق ما علموا في محور "افعل" و"لا تفعل". ولو كانت المسألة أن يعلم الخلق فقط، لكان من الممكن أن نقول: ما أيسرها من رحلة.

لقد وجدنا كفار قريش عندما طلب الرسول منهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، قاوموا ذلك. ولو كانوا يعلمون أنها مجرد كلمة تقال لقالوها. لكنهم عرفوا مطلوب الكلمة، وعرفوا أنه لن توجد سيادة ولا عبودية ولا أوامر لأحد غير الله، ومعنى ذلك المساواة المطلقة بين العباد.

إذن فكل تكليف من السماء إنما نزل، والقصد من العلم به هو العمل به أي توظيف العلم تطبيقاً، فلا قيمة لعلم دون عمل. وعندما يبلغ الرسول القوم: هذا هو الحكم، ومطلوب من كل واحد منهم أن يطوِّع حركة حياته على ضوء هذا الحكم. وتجيء الأحكام دائماً في طاقة البشر. وبعد أن غرق ابن نوح وابتلعت الأرض ماءها، نادى نوح ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (هود: ٤٥) نحن - إذن - أمام لقطة قصصية في قصة نوح. يلفتنا بها الحق إلى مسألة بنوة الرسالات، فالبنوة هنا منهجية. ومن يتبع النبي هو الذي يكون من نسبه. ومن لا يتبع النبي فليس من نسبة، لذلك قال الحق: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ فأهل النبوة هم الذين اتبعوا منهج النبي. ويشرحها لنا رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال عن سلمان الفارسي: "سلمان منا أهل البيت"

ولم يقل: إن سلمان عربي، أو إنّه من المسلمين، لكنه قال: إنه من أهل البيت. وقد أوضح الحق ذلك في قصة ابن نوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وخاض في معنى ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بعض الخائضين باللغو وقالوا: إن أم ابن نوح قد فعلت السوء، ولهؤلاء نقول: استغفروا ربكم وانظروا إلى حيثية الحكم: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (هود: ٤٦) وها هي ذي لقطة أخرى نأخذها من القصص القرآني مع سيدنا موسى؛

لنتبين ماذا يصنع المنهج الإيماني فيمن اقتنع به، وحدثت هذه القصة في وقت تهيئة سيدنا موسى للرسالة، حدثت هذه الواقعة وهو ذاهب إلى شعيب، ولم يكن رسولاً بعد، مما يدل على أن فطرية الإيمان كانت موجودة عنده، وأن الله قد صنعه على عينه، لقد ورد ماء مدين ووجد الفتاتين تذودان وتطردان الماشية عن الماء، فماذا دار بينه وبينهما من حوار؟. وكيف كانت رؤيته لهما أولاً: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص: ٢٣).

وفي قول المرأتين: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ قدر من المبادئ فخروجهما من البيت سببه أن الأب شيخ كبير، ومع أنهما في ضرورة وخرجتا للعمل فلم تنس واحدة منهما أنها أنثى يجب أن تُحترم أنوثتها فقالتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي أنهما ستسقيان من بعد أن يذهب الزحام من الرجال حول البئر. إذن فقد أخذت بنتا شعيب الضرورة في حجمها ولم تتخذ إحداهما من الضرورة حجة لإهدار الأنوثة والتزاحم للوصول إلى البئر. فماذا حدث من موسى؟. ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾.

تلك الهمة الإيمانية التي يجب أن يعتبر بها كل مؤمن والتي وُجدت في موسى قبل أن يصير رسولاً، وذلك ما يوضحه لنا الحق حتى لا يقول إنسان: كيف أكون مثل رسول من عند الله؟ كأن الهمة الإيمانية التي وصَفتها تلك اللقطة القصصية توقظ مسئولية كل مؤمن ليسلك مثل هذه السلوك. فعندما يرى امرأةً قد خرجت عن محيط بيتها لأي عمل، فعليه أن يقضي لها حاجتها حتى ترجع إلى بيتها وذلك دون أن يتخذ من ذلك ذريعة ووسيلة إلى أمر ينزل بهمته وينال من مروءته. ولو انتشرت بيننا تلك الهمة الإيمانية لما وجدنا امرأة في الطريق إلا للضرورة. لقد أوضحت لنا تلك اللقطة القصصية حرص المرأة على موضعها وموقعها من الستر، فتقول واحدة من المرأتين لأبيها شعيب بعد أن استقدمه ليجزيه أجر ما سقى لهما: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

كأن المرأة لا يحل لها أن تتحرك في الكون هذا اللون من الحركة الواسعة، ويسمع شعيب وهو الرجل العاقل لابنته فكيف يستأجر رجلاً وعنده ابنتان، فيفكر شعيب ويعثر على الحل الصحيح بفطنة إيمانية، فيستدعي موسى ويقول له: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى

ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ (القصص: ٢٧).

واللقطات القصصية في القرآن تعلمنا الكثير، وأراد الحق أن يثبت بها للأمة المحمدية دقة المنهج الإيماني، فمادام قد أرسل لنا منهجاً لنعلمه، فهو يطلب منا أن نطبق هذا المنهج ونوظفه في حياتنا. وليس ذلك بدعا، بل هو موجود في قصص الرسل الذين عَلِموا المنهج فطبقوه في ذواتهم أولاً؛ لأن الآفة أن نعلم العلم ولا نطبقه.

وفي زماننا يقال ويشاع: إن التعليم الديني في المدارس لا يأتي بثمار طيبة في سلوك الطلاب. ونقول لمن يرددون ذلك: أنتم لا تفهمون طبيعة التعليم الديني؛ فتعليم الدين لا يمكن أن يتساوى مع تعليم الجغرافيا أو الهندسة وغيرهما من العلوم؛ لأننا عندما نعلم طالباً الهندسة فهو يستطيع أن يكون عالماً متفوقاً فيها ويأخذ المعطيات والنظريات ويتفوق في المجال الهندسي، ولكن لم تطلب منه أية نظرية هندسية أن يعدل سلوكه في الحياة بأن ترشده في السلوك اليومي: افعل كذا ولا تفعل كذا. فالنظريات الهندسية لا تتدخل في حياة الطلاب، لكن الطالب عندما يتعلم الدين إنما يتعلم أن يفعل الأمر الديني، ولا يفعل الأشياء المنهي عنها. والصعب في التعليم الديني هو التطبيق العملي. عندما لا يرى التلميذ التطبيق العملي من الذين يعلمونه الدين أو من الأسرة، فإنه لا يتعلم الدين، فيقال للطالب: الدين ينهى عن الكذب، لكن الطالب يجد الكذب سلعة رائجة في المجتمع. ويقول الدين له: الصلاة عماد الدين وتنهى عن الفحشاء والمنكر، ولا يجد الطالب من يصلي أمامه أو يجد من يصلي ولا يقيم عمارة الدين باتباع ما تأمر به الصلاة من نهي عن المنكر، إذن ففشل التعليم الديني لا يأتي من ناحية غياب المعلم ولكن من عدم وجود التطبيق العملي للسلوك الديني.

إن الحق أرسل الرسل بالشرع والتبليغ والتطبيق، وأرسل الحق الأنبياء ليكونوا الأسوة السلوكية فيطبقوا ما أرسل به الرسل السابقون عليهم، وهذا أمر لا يأتي إلا في الأمم التي لها سجل في المكابرة مع الرسل. ولذلك نجد أن اللجاجة دفعت بني إسرائيل إلى التفاخر بأنهم أكثر الأمم أنبياء، صحيح أنهم أكثر الأمم أنبياء. لكن علينا أن نعرف أن النبوات والرسالات إنما تأتي لتشفي الناس مما بهم من داءات؛ فعندما نقول عن إنسان إنّه أكثر الناس تردداً على الأطباء، فمعنى ذلك أن أمراضه كثيرة، وكذلك بنو إسرائيل كانت داءاتهم

كثيرة. وكثرة الرسل إليهم لا ترفع من منزلتهم. بل تدل على كثرة أمراضهم. وإن القرآن لم يثبت بأية طريقة من طرق الوحي إلا بإرسال رسول، فكل وحي القرآن جاء بواسطة جبريل، فلم تأت آية بالنفخ في الرُّوع. إنما جاء بالنفخ في الروع الحديث القدسي؛ لأن النفخ في الروع قد يتصور واحد أنه خاطر من الجن أو أمثال ذلك. وجاءت كل الآيات القرآنية بواسطة جبريل؛ بمقدمات بدنية، ويحدث تغير كيماوي في نفس رسول الله فلا يشك أبداً في أنه جبريل. وأراد الحق أن يكون الوحي بالقرآن بطريقة لا شك فيها. وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسمع صوتاً كصلصلة الجرس؛ وبعد ذلك يتفصد جبين الرسول عرقاً، ويثقل جسم رسول الله حتى إن كان على دابة فهي تئط وتئن ويثقل عليها وتكاد أن يمس بطنُها الأرض. وإن كان رسول الله يلاصق فخذه فخذ أحد الصحابة، فيكاد أن يرض فخذ الصحابي، وتلك علامات مادية كونية، لا يمكن أن يحدث فيها لبس. لو لم يرسل الحق الرسول لكان لهم حجة. ونقول للعلماء: لنفهم هذه المسألة حتى نوضح لكم أنكم تختلفون في أمر كان يجب عليكم ألا تختلفوا فيه. أبا لعقل يعلم الإنسان مطلوب الله منه؟ أم أن العقل يهديني إلى وجود قوة أعلى خلقت هذا الكون وتدبره؟. وما اسم هذه القوة؟. وما مطلوب هذه القوة؟. أيعرف العقل ثواب من يتبع المنهج وعقاب من يخرج عن المنهج؟. كل هذه أمور لا يعرفها العقل، فالعقل حجة في الإيمان بقوة عُليا فوق ذلك الكون وهي التي خلقته وتدبره وتديره، أما الرسول فهو مبلغ بمطلوبات المنهج واسم القوة التي أرسلت والشرائع التي يجب أن يسير على هداها الإنسان، إذن فليس هناك خلاف بين الرأيين. إن خلق الشمس يحتاج إلى قدرة تناسب خلقها، وتحتاج إلى حكمة تناسبها، وليس لهذه الشمس محيط من الزجاج ينكسر ونغيره مثلما نفعل مع المصابيح. كان لابد للعقل البشري أن يفهم أن هذه الكائنات التي في الكون لها صانع يناسبها. ولا يمكن أن يكون صانعها من الخلق ويسكت عن حقه في صناعة هذه المعجزات، ونحن نرى بعضاً من الناس في بعض الأحيان تدعي ملكية ما ليس لها، فإذا ما جاء الخالق وأبلغنا بواسطة الرسل بصناعته للكون ولم يوجد له مُعارض، فهل هذه الأشياء والكائنات من خلقه أو لا؟. إنها من خلقه إلى أن يوجد له معارض؟ هذه هي مهمة العقل أي أنّه يهتدي إلى القوة التي تخلق وتدبر أمر هذا الكون ولا يغني العقل عن الرسل، ولكن العقل يؤمن في القمة الإيمانية بأن هناك قوة مبهمة عالية تناسب عظمة هذا الكون الذي طرأ عليه الإنسان، ولذلك نرى الإمام عليا - كرم الله

وجهه - أمام سؤال من أحدهم:- أعرفت محمداً بربك؟ أم عرفت ربك بمحمد؟ فأجاب الإمام عليّ وكان باب العلم: لو عرفت ربي بمحمد لكان محمد أوثق عندي من ربي، ولو عرفت محمداً بربي لما احتجت إلى رسول، ولكني عرفت ربي بربي وجاء محمد فيبلغني مراد ربي مني. هكذا حدد لنا سيدنا عليّ المسألة.. فالعقل الفطري يؤمن بقوة مبهمة وراء هذا الكون هي التي خلقت وهي التي رزقت وهي التي أمدت بقيوميتها وقدرتها، وقال تعالى في وصف نفسه بالقوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨) ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠). وقال في وصف الحادث بها: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥) الآية ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ (هود: ٥٢) الآية ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦). ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ (الروم: ٥٤) الآية إلى غير ذلك من الآيات. وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرة في القرآن، وجب على المؤمن العمل بها لنشر الفضيلة بين الناس بخلقهم وإتباعهم لنهج الحسين عليه السلام ومعلوم أن الرأفة والرحمة والأخلاق والمعاملات الطيبة من سجايا الإمام عليه السلام وهي نبراس لجميع الخلق.

أدب الحسين رضي الله عنه في مناجاة الله عن شريح القاضي قال: دخلت إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وصليت العشاء ثم انصرفت، فإذا أنا برجل مصفر الوجه، يقول باكيا: إلهي وسيدي ومولاي لمقامع الحديد خلقت أعضائي أم لشرب الحميم خلقت أمعائي، سيدي ومولاي لو طالبتني بذنوبي طالبتك بعفوك، ولو حبستني مع الخاطئين لأخبرتهم بجودك وكرمك، سيدي إن الحسنات لتسرك، والسيئات لا تضرك، فهبني ما يسرك، واعف عني ما لا يضرك، يا أرحم الراحمين... فنظرت فإذا هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وهنا لنا مع هذه المناجاة وقفات:- منها توحيد سيدنا الحسين وأدبه مع الله، فلم يتوسل إلى الله بقرابته من الرسول أو بأمه الزهراء أو بأعماله رضي الله عنه، إنما يتوسل إلى الله بعفوه وكرمه وأسمائه وصفاته. وحسن ظن سيدنا الحسين رضي الله عنه بالله فتأمله معي وهو يناجي الله بقوله: "لو حبستني مع الخاطئين لأخبرتهم بجودك وكرمك "..تأمل حبه العظيم لله سبحانه وتعالى.. كان عليه السلام يمتلك خشوعا وخوفا من الله فقد وصفه شريح القاضي بأنه مصفر الوجه باك.. والمتأمل قول سيدنا الحسين: "لو طالبتني بذنوبي" وهو

اعتراف صريح منه بأنه غير معصوم وأنه يذنب حاله كحال بقية البشر.. مع علو قدره ورفعة منزلته رضي الله عنه وأرضاه.. ثم تأمل توقيت الدعاء والتضرع فقد اختار سيدنا الحسين وقت الليل بعد العشاء حيث الظلام وحيث لا يعرفه أحد، وهذا ديدن الصالحين ودأب الأوابين التخفي تحت جنح الظلام مبالغة في الاخفاء حتى لا يتسرب إلى أعمالهم شيء من الرياء أو يكون في عبادتهم حظ للنفس أو لنظر الخلق بل الاخلاص التام، وكأني أرى سيدي الحسين ممتثلا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾... ما اجمل صفات سيدنا الحسين وما أحوجنا لمثل هذه الأخلاق في زمان طغت فيه الماديات علينا، فسلام عليك يا سيدي ورزقنا الله إخلاصا كإخلاصك وإخباتا كإخباتك يا ريحانة رسول الله وكأن نصب عينيك الحديث الجامع الشامل لأهل التقوى عن رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخرة. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا والآخرة. وَاللّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أخيه. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمسُ فيه علمًا، سَهَّلَ اللّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّة. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّه، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّه، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .وقوله: (من نفس عن مسلم كربة : أي أزالها عنه وفرجها، وقوله: (ونزلت عليهم السكينة) أي الرحمة، وهو أحد الوجوه في تأويل السكينة في القرآن الكريم، وهذا أليق الوجوه هنا. وقيل: السكينة أيضًا في ذلك، وفى قوله: ﴿أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الوقار والطمأنينة. وقوله: "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه): يريد آخرة عمله الذي فرط به في الحسنات المعلية للدرجات عن اللحاق بمنازل المتقين والأبرار، وعن دخول الجنة في أول زمرة لم ترفعه رفعة نسبه ومكانته في الدنيا، ولا جبر هذا النقص الذي ثلم حاله. وخلاصة القول في هذا البحث المبارك نقول، اللهم احشرنا في زمرة سيدنا الحسين وآبائه وأحباب آبائه.. اللهم آمين

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الجولة في رحاب سمات وصفات ثورة الإمام الحسين عليه السلام نستطيع أن نلخص أهم النتائج، وهي: ظهر لنا من دراسة حياة وآثار ومناقب الأمام الشهيد أنه يتمتع بشجاعة

القلب والجسد والجود والكرم والحلم والصبر فهو مدرسة الشرع والأدب واللغة لقد كان من العلماء البارزين في الرواية والدراية وعلوم اللغة وله ملكة لغوية تأثر في المتلقي، إن نشأته الأولى في بيت النبوة عاملا أساسيا ورافدا مهما لبناء شخصيته، ليظهر بعلمه وخلقه وسمته النبوي وليُعلِّم الطلاب والسائلين لقد كان عالماً كبيراً في القراءات والتفسير وله آراءٌ متميزة في التوجيهات التربوية ❖ إن الألفاظ والعبارات والآراء التفسيرية التي أطلقها الإمام وجدناها مشحونة بألوان النكات البيانية، والتطبيقات الدلالية على آي التنزيل، وجدنا الأمام اجتمعت فيه من الخصال ما تفرقت في غيره من العلماء❖تُعدُّ شخصية الإمام الحسين عليه السلام إحدى الشخصيات المهمة والفريدة والفاعلة على المستوى البشري، ولها من الأهمية ما يدعو إلى الاعتناء بكافة الجوانب المتعلقة بها على الدوام. من جانب الدراسات الشرعية المتعلقة بشخصيته أو تسخيرها للدراسات التربوية، والعلمية والنفسية واللغوية. ليُعدُّ تطويرا مستمرا في جميع جوانب المعرفة الإنسانية❖إن الإمام عليه السلام.

كان موسوعيا في تدبر آيات القرآن الكريم، متفرداً في استنباطاته و فهمه له، وقد حظاه الله سبحانه بعمق في النظرة البيانية البلاغية والدلالية في القرآن، مما يجعله مقدما على غيره من المبرزين في هذا الباب فمن أراد أن يتحلى بخلقه وسجاياه من الحشد المؤمن فأمامه نبراس الأمة الحسين عليه السلام. وكذلك نجده من جانب آخر يهتم بالتأديب التربوي في الحلقات القرآنية لتصبح ضرورة شرعية في واقعنا المعاصر حتى تتحقق الأهداف التربوية ويبدو أن من نافلة القول، التأكيد على المكانة الرفيعة التي حظي بها الحسين وثناء العلماء عليه شرقًا وغربًا، وفي اغلب العلوم الشرعية لقد كان الإمام صاحب رواية ودراية بالحديث النبوي الشريف وله مسند في ذلك ❖ تمكنت الدراسة من تحديد معايير وضوابط المفردات القرآنية التي وقف عندها الأمام للتفسير ويجب أن يأخذ بها الحشد المؤمن عملا واقتداء، مبينة في الوقت نفسه مدى الحاجة إلى تلك النصوص التي تشكل نوعا من الصعوبة في الفهم بسبب من مخالفة الظاهر أو غيره ❖ كشفت الدراسة عن جهود المفسرين القدامى في هذا الميدان وغيره، مع أنه لم يكن همها الأول، إلا أننا وجدنا لهم حضورا في ثنايا تفسيراتهم ❖ ومن ذلك كلّه نستطيع القول إنّ الأمام ضرب أروع الأمثلة في الاستدلال على آراءه من النقل والعقل والقياس. فهم واستنبط الإمام في تكريم الإسلام للوالدين وهو يبن الحقوق الدينية

والعلمية والاجتماعية والاقتصادية لهم، وعناية القرآن الكريم بهذه الجوانب للإسهام في بناء الأسرة وحل جميع المشاكل المعاصرة والمتعلقة بالفرد والمجتمع

❖ إن الآثار الدينية العظيمة التي تأخذ من صفاته ومحاسنه عليه السلام لها الدور الرائد في تنمية الشخصية المتميزة للفرد والمجتمع والحشد المؤمن الذي يدافع عن الوطن ويقاتل الإرهاب، إن الاستقرار الأسري والتعايش السلمي في المجتمع يقوم على السلوكيات والأخلاقيات النبيلة ولها الدافع الكبير للبذل والعطاء والتفاني في خدمة وتنفيذ أهداف وقيم الإمام عليه السلام . وخلاصة القول أن ثقافته الفكرية تمتاز بغزارة المعلومات، ويعتز بتاريخه الأبناء والآباء والأجداد، لقد كان ابن البتول فقيهاً غاص في معرفة حقائق النفوس البشرية، وله منهجاً تربوياً لعلاج الأمراض النفسية،. لمن تحرى آثاره كلها لقد اتصف عليه السلام بصفات الدعاة الربانيين المخلصين؛ من الصدق، والشجاعة والإخلاص، والدعوة على بصيرة، والصبر، والرحمة، والعفو، والعزيمة، والتواضع، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والنظام والدقة، والزهد، والورع، والاستقامة...من هنا نبين الخطاب إلى هذا الحشد المؤمن أن التربية الجهادية وحفظ الأمانة متلازمان وهي من الأخلاق الكريمة والمروءات النبيلة التي تدل على تقوى صاحبها وخوفه من الله وعفته ووفائه • ولذلك وجب الاهتمام بتقوية هذا الخلق في التربية بعامة، وفي الإعداد للجهاد بصفة خاصة؛ وذلك لما يتعرض له المجاهد من مواقف تتطلب منه إبرام عهد وعقد للقيام بمهامه على نهج الحسين عليه السلام.

وفي نهاية المطاف يوصي الباحث أن تدرس شخصية الإمام الحسين عليه السلام من جميع الجوانب الإيمانية والعسكرية لتكون مرآة كاملة للحشد المؤمن ومن غير الدرس والجهة التي نظرنا فيها وكأن تدرس عنده العلوم البلاغية والمعاملات مع الخلق وفقه الحسين - وأن يختص بتفسير للآيات التي وقف عندها. لأنه أثرى المكتبة العربية بتراثه الفكري المتنوع ان ثورة الحسين كانت الوهج الساطع الذي اضاء المسالك لمن أراد المسيرة بالإسلام في طريقها الصحيح و المرآة الصافية للتخلص من الحاضر الذي كانت تعيشه الأمة و من واقعها الذي كانت ترسف في أغلاله. قضية الإمام الحسين كونها عمقت مبدأ التعايش السلمي والدفاع عن المظلومين في إطار النظام العالمي بما لها من العمق الفكري والنفسي لتهيئة البشرية وصولا إلى التكاملات الفكري وفق نظام تحقيق العدالة الإنسانية بين البشر وإقرار المساواة.

واقعة ألطف تمثل الخير وانتصار إرادة الأيمان والتضحية على صراع المصالح. فالإمام الحسين يمثل سليل البيت المحمدي وهو ثورة جاءت بعد تسلط الظالمين على رقاب المسلمين و لم يخرج لمحاربة الطغاة من اجل منصب دنيوي فقد قالها عليه السلام (لقد خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي.. فتذكروا دوماً هدفي ومبدئي). ان الإمام الحسين عليه السلام مشروع سلم وسلام ومنهج يضيء الدرب وسارية راية الحق في كل ارض طاهره ومن فكر الإمام الحسين تحتفظ الأمم بكرامتها. ان انتهاك الرسالة المحمدية وحرمة بيت ألنبوه البيت العلوي الشريف أعطى المبرر الواضح والسبب الرئيسي لقيام الثورة الجهادية الحسينية وجعلت البشرية تتطلع على السلوك الشاذ للحكام الأمويين ومن أمثال شاكلهم. إن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فوق ثرى كربلاء تجعلنا ان نأخذ جميعاً من مناهجه الدرس تلو الدرس والعبر برشاقة القيمة الإيمانية ومناهج تطور الفكر الإنساني لإرساء عالم متحضر متآخي لدحر الاستبداد والظلم والإرهاب الأسود مستلهمين ذلك من مواقع وسلوك ومنهج ثورة الأمام الحسين عليه السلام ومن مصاديق جهاده المحمدي الصحيح الذي رفض الظلم من اجل الحق.وعلينا ان نستفيد من القواعد لتي ارسى دعائمها الإمام على عليه السلام ومرتكزات ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وهي بحد ذاتها ثورة على الباطل والتخلف والظلم حيث كان الإمام الحسين الرمز الانساني الخالد في ذاكرة التاريخ. لنتعلم من ثورة كربلاء كيف نضحّي من أجل القيم وكيف نعمل من أجل المبادئ ويمكن أن نفهم أن الحياة قيم ومبادئ وإذا انتفت تنتفي معها الحياة ولا يعني أن ننتحر ولكن نعمل من أجل توثيق القيم على أرض الواقع حتى نموت دونها وكما قال الإمام الحسين عليه السلام (ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما ويمكننا نقل واقعة ألطف إلى واقعنا وأن نجعل الإصلاح هو غايتنا وتقدم الإنسانية إلى الأفضل هو هدفنا وان نجسد ونستفيض من مدرسة الإمام الحسين كل ما قال عليه السلام: (ألا وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) إن الإمام الحسين عليه السلام ومن خلال انتمائه للبيت الشريف أدرك بني أمية وجن جنونهم الاهوج وهم يحكمون بالظلم والعدوان وقهر الانسان المؤمن واصرارهم على نشر المد الفاسق ومن هنا انطلقت مشاعل نور الحياة الهادئة لحفيد النبي حيث شعر الامام بخطر وتحد قادمين عليه وعلى الدين الاسلامي المشرق من الأمويين واتباعهم باعتبار الحكم الاموي عرش فاسق اسود وليس خلافه فقد كان

هزيل وتحديدا خلافة يزيد المبتذل بما يحمله من شخصية نكراء مشوهة مستخفا، مستهزئا لا يقوى على تحمل المسؤولية، قال عنه احد الرجال البارزين أعلينا أن نبايع من يلاعب الكلاب والقرود ومن يشرب الخمر ويرتكب الآثم والزنا علنا. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وسلم

هوامش البحث

(١) ينظر: الإصابة: ٣٣٣/١.

(٢) ينظر: الاستيعاب: ٣٧٨/١، وأسد الغابة: ١٩/٢، والبداية والنهاية: ١٥٢/٨، والإصابة: ٣٣٢/١.

(٣) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - (١٩٠/١) موسوعة الشعر الإسلامي - (١/٢١٨).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) طبع دار إحياء التراث - بيروت - الطبعة الأولى سنة (١٣٢٨هـ)، ج١، ص٣٧٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ) طبع مطبوعات الشعب - مصر - تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب، بدون تأريخ، ج٢، ص١٨، و البداية والنهاية: للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) طبع دار الكتب العلمية - بيروت- حققه مجموعة من العلماء، بدون تأريخ، ج٢، ص١٨؛ الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة الأولى سنة (١٣٢٨هـ)، ج١، ص٣٣٢.

(٥) ينظر: الاستيعاب: ٣٧٨/١، وأسد الغابة: ١٩/٢، والبداية والنهاية: ١٥٢/٨، والإصابة: ٣٣٢/١.

(٦)ينظر: الإصابة: ٣٣٣/١.

(٧) ينظر: الجوهرة: ١١٩/٢، و الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري، طبع دار الرفاعي - الرياض- الطبعة الأولى سنة (١٩٨٣م) تحقيق د٠ محمد التونجي.

(٨) ينظر: الكامل في التأريخ:٣٠٠/٣، والكامل في التأريخ: لابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت٦٣٠هـ) طبع دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة الثالثة سنة (١٩٨٠م) تحقيق نخبو من العلماء، وسير أعلام النبلاء: ٣٠٣/٣، الطبعة الثانية سنة (١٤١٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، والجوهرة: ٢١٩/٢. و سير أعلام النبلاء: حمد بن أحمد أبو

(٩) ينظر: الكامل في التأريخ: ٣٠٢/٣، والجوهرة: ٢٢٣/٢.

(١٠) ينظر: الجوهرة: ٢٢٣/٢.

(١١) المصدر نفسه.
(١٢) ينظر: نور الأبصار:١٣٨، و نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وآله: مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (ت١٣٢٢هـ)، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت-، بدون تأريخ.
(١٣) ينظر: الكامل في التأريخ:٣٠٢/٣، وسير أعلام النبلاء: ٣٢١/٣.
(١٤) ينظر: سير أعلام النبلاء:٣٢١/٣.
(١٥) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٢١/٣، ونور الأبصار: ١٣٨.
(١٦) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٢١/٣، والجوهرة: ٢٢٣/٢ وما بعدها، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (١١٦/١).
(١٧) ينظر: الكامل في التأريخ: ٣٠٠/٣، وسير أعلام النبلاء: ٣٠٣/٣، والإصابة: ٣٢٢/١.
(١٨) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٠٣/٣، والإصابة: ٣٣٢/١، والجوهرة: ٢٢٣/٢.
(١٩) طيب المذاق من ثمرات الأوراق - (٢٤٨/١) أخبار الحسين بن علي ونسبه (١٦٢/١) آداب الأكل - (٣/١).
(٢٠) صنائع المعروف - (٢٨/١).
(٢١) بحر العلوم - (٢٧١/١).
(٢٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل - (٢٠٦/١)
(٢٣) موسوعة الرد على الصوفية - (٢١ / ٢)
(٢٤) جلاء الأفهام - (١ / ٩٠)
(٢٥) الزهد - (١ / ٤٨١)
(٢٦) ينظر: ثورة الإمام الحسين ومعطياتها العاطفية والثقافية بقلم: السيد عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة العتبة الحسينية قسم الشؤون الفكرية.
(٢٧) ينظر: تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت: ٧٤، طبع مصر، سنة ١٩٣٨م.
(٢٨) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩٥، تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥.
(٢٩) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣: ٢٠٤.
(٣٠) ينظر: بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٤، ص٣٢٥.
(٣١) ينظر: تاريخ الطبري:٤ /٣٠٤.
(٣٢) ينظر: تاريخ الطبري:٤ /٢٦٦.
(٣٣) ينظر: مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٣١.
(٣٤) ينظر: بحار الأنوار للعلامة المجلسي:٤٤ /٣٣٠.
(٣٥) ينظر: تاريخ الكامل، ابن الأثير ٢/ ٤٣
(٣٦) ينظر: نهج البلاغة، محمّد عبدة ٢/ ١٩
(٣٧) ينظر: مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٢٤٦، الكامل، ابن الأثير:٣/ ٢٧٠.

(٣٨) ينظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١.
(٣٩) ينظر: المصدر السابق: ٤ / ٣٣١.
(٤٠) ينظر: حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ٤٤٠/٣ عن أمالي الشيخ الطوسي.
(٤١) ينظر: حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ٣٤١/٣ عن مثير الأحزان.
(٤٢) ينظر: تأريخ الطبري: ٤ / ٣٨٨، تأريخ الخلفاء: ٢٠٨.
(٤٣) ينظر: ثورة الحسين (النظرية، الموقف، النتائج) للسيّد محمد باقر الحكيم:١٠٠.
(٤٤) ينظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٦، ٤٤٩.
(٤٥) ينظر: المصدر السابق: ٤ / ٤٦٤.
(٤٦) ينظر: المصدر السابق: ٤ / ٤٨٧.
(٤٧) ينظر: مقاتل الطالبيين: ١٣٥.
(٤٨) ينظر: المصدر السابق: ٥٢٣.
(٤٩) ينظر: أضواء على ثورة الحسين عليه السلام للسيّد محمد الصدر: ٥٧.
(٥٠) ينظر: تأريخ الطبري: ٦ / ١٩٧.
(٥١) ينظر: الفتوح لابن أعثم: ٣٠١/٥، والإمامة والسياسة للدينوري: ١٩/٢، مروج الذهب: ٨٤/٢.
(٥٢) ينظر: تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤، والكامل في التاريخ: ٢/٣.
(٥٣) ينظر: مثير الأحزان: ٤٠، أعيان الشيعة: ٦٠٣/١.
(٥٤) ينظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢٣٤/١.
(٥٥) ينظر: الملحمة الحسينية: ٥٥/٢.
(٥٦) ينظر: تاريخ الطبري: ٤٠٣/٥.
(٥٧)ينظر: سير أعلام النبلاء:٢٩٠/٣، رواه الطبراني في المعجم الكبير بألفاظ أخرى:١٠٧/٣ برقم (٢٨١٤) ، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد:١٨٩/٩، باب مناقب الحسين عليه السلام.
(٥٨) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١٥٣/١)
(٥٩) الكشف والبيان للنسابوري (٨/ ٣٥٣) الأنوار الساطعات (١/ ٢٠)
(٦٠) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٩،
(٦١) (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٢/ ١١٠) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ١٦٥).
(٦٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٩/ ١٠٤)
(٦٣) تفسير الشعراوي (ص: ٦٥١).

قائمة المصادر والمراجع

١- "الكامل في التاريخ": ابن الأثير، الطبعة السادسة، نشر دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢- اضواء على ثورة الامام الحسين عليه السلام: سماحة اية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر- تحقيق وتعليق: الشيخ كاظم العبادي الناصري - الناشر: مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر الطبعة: الأولى.

٣- أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين، ١٠ مجلدات كبار، وهي الطبعة المشهورة المتداولة الآن. طبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م تحقيق السيد حسن الأمين قدس سره ـ ابن المصنّف.

٤- الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء: ابن قتيبة الدينوري ابي محمد عبدالله بن مسلم، تحقيق: الاستاذ علي شيري الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الاولى ١٩٩٠م محققة ومفهرسة.

٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦- تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ.

٧- تاريخ الطبري. ابن جرير أبو جعفر الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة دار المعارف.

٨- تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت، طبع مصر، سنة ١٩٣٨م.

٩- ثورة الحسين (النظرية، الموقف، النتائج) للسيّد محمد باقر الحكيم

١٠- حياة الإمام الحسين عليه السلام، للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي النجفي دام مؤيداً في عدة موارد، الطبعة الأولى.

١١- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٢- الفتوح: ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي، التصنيف: طبعه حيدر اباد سنه ١٩٧٠ جغرافيا. بيوجرافي سيره ذاتيه. تاريخ النوعية: scanned، المصدر: الهند.

١٣- مثير الاحزان - للشيخ نجم الدين محمد بن جعفر (ابن نما) الحلي المتوفي سنة ٦٤٥هـ - منشورات المطبعة الحيدرية في النجف - ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

١٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت: ٣٤٦هـ، طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط. أولى، ١٤٠٢هـ.

١٥- مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصبهاني علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي (ت:٣٥٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة: منشورات الشريف الرضي - قم ! الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٦هـ.

١٦- مقتل الإمام الحسين عليه السلام المسمى مقتل الخوارزمي تأليف محمّد بن أحمد المؤيّد الخوارزمي.

١٧- مقتل الحسين عليه السلام، هذا الكتاب نشر ألكترونياً وأخرج فنّياً برعاية وإشراف شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام وتولّى العمل عليه ضبطاً وتصحيحاً وترقيماً قسم اللجنة العلمية في الشبكة، مؤلف: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.

١٨- الملحمة الحسينية: الشهيد الشيخ مرتضى مطهري تعريب: السيد محمد صادق الحسيني الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٩٩٢ الجزء الاول - الجزء الثاني - الجزء الثالث، الناشر: المركز العالمي للدراسات الاسلامية.

١٩- نهج البلاغة: اختاره الشريف الرضي من كلام الإمام على شرح الشيخ محمد عبده - دار ومطابع الشعب - طبعة أخرى تحقيق وتوثيق د. صبرى إبراهيم السيد سنة ١٤٠٦هـ.